وقد تقدم آنفا قوله (وإنها لبسبيل مقيم) فإدخال مدينة لوط " عليه السلام " في الضمير هنا تأكيد للأول .

ويظهر أن ضمير التثنية عائد على أصحاب الأيكة باعتبار أنهم قبيلتان وهما مدين وسكان الغيضة الأصليون الذين نزل مدين بجوارهم فإن إبراهيم " عليه السلام " أسكن ابنه مدين في شرق بلاد الخليل ولا يكون إلا في أرض مأهولة . وهذا عندي هو مقتضى ذكر قوم شعيب " عليه السلام " باسم مدين مرات وباسم أصحاب الأيكة مرات . وسيأتي لذلك زيادة إيضاح في سورة الشعراء .

(ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين [80] وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين [81] وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين [82] فأخذتهم الصيحة مصبحين [83] فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون [84]) جمعت قصص هؤلاء الأمم الثلاث : قوم لوط وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر في نسق لتماثل حال العذاب الذي سلط عليها وهو عذاب الصيحة والرجفة والصاعقة .

وأصحاب الحجر هم ثمود كانوا ينزلون الحجر " بكسر الحاء وسكون الجيم " . والحجر : المكان المحجور أي الممنوع من الناس بسبب اختصاص به أو اشتق من الحجارة لأنهم كانوا ينحتون بيوتهم في صخر الجبل نحتا محكما . وقد جعلت طبقات وفي وسطها بئر عظيمة وبئار كثيرة .

والحجر هو المعروف بوادي القرى وهو بين المدينة والشام وهو المعروف اليوم باسم مدائن صالح على الطريق من خيبر إلى تبوك ؟ .

وأما حجر اليمامة مدينة بني حنيفة فهي " بفتح الحاء " وهي في بلاد نجد وتسمى العروض وهي اليوم من بلاد البحرين .

وقد توهم بعض المستشرقين من الإفرنج أن البيوت المنحوتة في ذلك الجبل كانت قبورا وتعلقوا بحجج وهمية . ومما يفند أقوالهم خلو تلك الكهوف عن أجساد آدمية . وإذا كانت تلك قبورا فأين كانت منازل الأحياء ؟ .

والظاهر أن ثمود لما أخذتهم الصيحة كانوا منتشرين في خارج البيوت لقوله تعالى (فأخذتهم الصيحة مصبحين) . وقد وجدت في مداخل تلك البيوت نقر صغيرة تدل على أنها مجعولة لوصد أبواب المداخل في الليل .

وتعريف (المرسلين) للجنس فيصدق بالواحد إذ المراد أنهم كذبوا صالحا " عليه السلام "

فهو كقوله تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين) . وقد تقدم . وكذلك جمع الآيات في قوله (آياتنا) مراد به الجنس وهي آية النذاقة أو أريد أنها آية تشتمل على آيات في كيفية خروجها من صخرة وحياتها ورعيها وشربها . وقد روي أنها خرج معها فصيلها فهما آيتان .

من أو وسطه من العود أو الحجر بري : والنحت . معترضة (ينحتون وكانوا) وجملة A E جوانبه .

و (من الجبال) تبعيض متعلق ب (ينحتون) . والمعنى من صخر الجبال لما دل عليه فعل (ينحتون) .

و (آمنين) حال من ضمير (ينحتون) وهي حال مقدرة أي مقدرين أن يكونوا آمنين عقب نحتها وسكناها . وكانت لهم بمنزلة الحصون لا ينالهم فيها العدو .

ولكنهم نسوا أنها لا تأمنهم من عذاب ا فلذلك قال (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) .

والفاء في (فأخذتهم الصيحة) للتعقيب والسببية . و (مصبحين) حال أي داخلين في وقت الصباح .

و (ما كانوا يكسبون) أي يصنعون أي البيوت التي عنوا بتحصينها وتحسينها كما دل عليه فعل (كانوا) . وصيغة المضارع في (يكسبون) لدلالتها على التكرر والتجدد المكنى به عن إتقان الصنعة . وبذلك كان موقع الموصول والصلة أبلغ من موقع لفظ (بيوتهم) مثلا ليدل على أن الذي لم يغن عنهم شيء متخذ للإغناء ومن شأنه ذلك .

(وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل [85] إن ربك هو الخلاق العليم [86]) موقع الواو في صدر هذه الجملة بديع . فهذه الجملة صالحة لأن تكون تذييلا لقصص الأمم المعذبة ببيان أن ما أصابهم قد استحقوه فهو من عدل ا بالجزاء على الأعمال بما يناسبها ولأن تكون تصديرا للجملة التي بعدها وهي جملة (وإن الساعة لآتية) . والمراد ساعة جزاء المكذبين بمحمد A أي ساعة البعث . فعلى الأول تكون الواو اعتراضية أو حالية وعلى الثاني عاطفة جملة على جملة وخبرا على خبر